غاندي وسياسة اللاعنف

يعد موهانداس كارماجاند غاندي من ابرز قادة حركة التحرر الوطني في شبة القارة الهندية، فقد ولد هذا القائد في ٢ تشرين الاول عام ١٨٦٩ في عائلة هندوسية شديدة التمسك بمعتقدها الديني، وكان والده احد وزراء امارة (الكلنجارت) وعند اكماله الدراسة الثانوية في الهند سافر الى بريطانيا لاكمال دراسته العليا، حيث نال شهادة الحقوق عام ١٨٩٣ وعند عودته الى بلاده عمل في احدى الشركات البريطانية العاملة في جنوب افريقيا محامياً لها لفترة طويلة امتدت بين عامي ١٨٩٣– ١٩١٥ تخللتها فترات زيارات قصيرة للهند وقد دافع هناك عن الهنود العاملين ووصف احوالهم المزرية وسياسة التمييز العنصري التي يمارسها البيض ضد السكان الافارقة في جنوب افريقيا. وقد اسهم مساهمة فعالة في النضال ضد هذه السياسة العنصرية وقاد التظاهرات ذات الطابع السلمي لتحسين احوال العاملين الهنود. كما شارك ضمن فرقة صحية لمداواة الجرحى البريطانيين اثناء حرب (البوير) التي نشبت في جنوب افريقيا عام ١٨٩٩ وكان غاندي من الناحية المبدئية يؤيد صراع البويريين ضد البريطانيين ولكنه من الناحية العملية اكد بانه يجب على الهنود اثبات اخلاصهم تجاه بريطانيا لكي ينال عطفها على الشعب الهندي في منحه الحكم الذاتي وادخال الاصلاحات في البلاد. لقد اثرت الفترة التي عاشها غاندي في جنوب افريقيا في بلورة افكاره ومبادئه واتجاهاته السياسية، الى جانب تأثره بالتراث الحضاري الهندي، وبمعطيات الثقافة الغربية والتقدم الحضاري الاوربي، واضعا بذلك اسس ومنطلقات المبادئ التي عرفت باسمه، أي "الغاندية"، و"الغاندية" هي : مجموعة أفكار دينية واجتماعية وفلسفية ساهمت في نهوض الحركة الوطنية الهندية التي اتجهت لإنهاء السيطرة الأجنبية الاستعمارية على شبة القارة الهندية وحصولها على استقلالها عن طريق حشد الجماهير للنضال بطريقة سلمية ضد السيطرة البريطانية وعدم استعمال أي شكل من أشكال العنف.. ووضعت الغاندية برنامجا لمعالجة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي يعاني منها الشعب الهندي، مركزة على تحرير اقتصاد البلاد من الهيمنة الاستعمارية البريطانية. اسس غاندي ما عرف في عالم السياسة بـ (المقاومة السلمية) أو فلسفة اللاعنف (الساتيا جراها).

عاد غاندي إلى الهند والحرب العالمية الاولى في اوجها، فانخرط في الحياة السياسية واسهم بشكل فعال في النشاطات التي كان ينظمها حزب المؤتمر الوطني الهندي، الذي انتمى اليه رسمياً في عام ١٩١٩، ثم باشر بمهنة المحاماة دفاعاً عن حقوق المظلومين الهنود امام المحاكم في القضايا العامة التي تمثل مشاكل وظلامات من جراء تعسف الحكام البريطانيين وبعض المتنفذين من الهنود، فأخذ يدافع عن الفلاحين ضد كبار الملاكين، ودافع عن العمال عند مواجهة التعسف من أرباب العمل، ومن القضايا الأخرى التي اهتم بها غاندي تحسين حال المنبوذين أبناء الطوائف الدنيا وعد وضعهم المزري سُبة في جبين الهند، ونظراً لما لمسه الفلاحون والعمال من شدة اخلاصه لهم فضلاً عن كونه عضواً بارزاً في (حزب المؤتمر الوطني الهندي)، أصبحت له شعبية كبيرة بين أوسع جماهير الشعب الهندي. لذلك عندما تزعم غاندي (حزب المؤتمر الوطني الهندي) عام ١٩١٩، كان ذلك فاتحة لتحوله الى حزب شعبي جماهيري، إذ أعلن عن سياسته التي تضمنت مبدأ المقاطعة السياسية والاقتصادية لبريطانيا وفي المجالات الاخرى كلها، مصحوبة بأتباع اساليب اللاعنف للمطالبة بالحرية والاستقلال، مؤكداً على أهمية تحقيق وحدة الشعب الهندي بكافة أديانه وقومياته ومذاهبه، مركزاً على وحدة المسلمين والهندوس، التي تحققت اثر المجزرة الدموية التي ارتكبتها السلطات الاستعمارية البريطانية بقتل وجرح المئات من الهندوس والمسلمين الهنود في الاضراب الذي قاموا به يوم ١٦ اذار عام ١٩١٩. وقد استمر العمل بمبدأ المقاطعة حتى عام ١٩٢٢ باقتراح من غاندي نفسه، لانتفاء الغرض منها، وفي هذه الفترة التقى غاندي مع جواهر لال نهرو (الذي قدر له ان يكون اول رئيس للحكومة الهندية بعد الاستقلال، وكان يعد من ابرز تلامذة غاندي المتأثرين بافكاره واساليب نضاله، ولقد كان نهرو من اشد الداعين لوحدة القوميات والديانات والمذاهب المختلفة في شبه القارة الهندية التي تعد الاساس في حصول الهند على حريتها واستقلالها.

تصاعد حركة المقاومة الوطنية في الهند

منذ بداية الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤، أُستخدم البريطانيون اعداداً كبيرة من الهنود في خدمة القوات البريطانية، وصل الى اكثر من نصف مليون جندي، راح ضحيتها منهم (١٠٠) الف جندي بين قتيل وجريح وبرزت بعض المعارضة لبريطانيا خلال الحرب داخل الهند وخارجها، الا انها كانت محدودة الحركة والنشاط والتأثير وتم احتواؤها بسهولة. ولكن بعد الحرب

تميزت الفترة المحصورة بين الحربين العالميتين بالنهوض العارم للحركة الوطنية التحررية في شبه القارة الهندية المطالبة بالاستقلال تنفيذا للوعود التي قطعها البريطانيون للشعب الهندي في اعطائهم الحكم الذاتي حال انتهاء الحرب العالمية الاولى. وخلال هذه المدة برزت شخصية سياسية وطنية على الساحة السياسية، متمثلة بشخصية (المهاتما غاندي)، وقاد (غاندي) الشعب الهندي للنضال من اجل انهاء السيطرة الاجنبية بطريقة اللاعنف، حيث قاد (غاندي) العديد من الإضرابات ضد الحكومة البريطانية خلال عشرينيات القرن العشرين، وبسبب تأزم الوضع الاقتصادي العالمي لحدوث الازمة الاقتصادية العالمية عام ١٩٢٩، تأثرت بريطانيا بها كثيراً، فسارعت بأتخاذ جملة من الإجراءات الاقتصادية في الهند لتخفيف حدة الازمة، ومنها تسريح العمال الهنود وزيادة الضرائب، وحينئذ قدم (غاندي) عدداً من المطالب الى الحكومة البريطانية.

وحين لم تستجب الحكومة لهذه المطالب، بدأت القوى الوطنية بالتهيؤ للتحرك الوطني عام ١٩٣٠، وقام غاندي بقيادة مسيرة جديدة اطلق عليها (مسيرة الملح)، التي أستمرت نحو ٢٤ يوماً، انطلقت في ١٢ اذار عام ١٩٣٠ واستمرت حتى الخامس من نيسان من العام نفسه، أحتجاجاً على احتكار السلطات البريطانية لتجارة الملح ومضاعفة ضريبة الملح، وبينما كان العصيان المدني في الهند على أشده، عقدت الحكومة البريطانية مؤتمر المائدة المستديرة في لندن، إلا إنَّ الحركة الوطنية الهندية لم تعترف بهذا المؤتمر، فأضطرت الحكومة البريطانية الى عقد مؤتمر ثانٍ دعت اليه (حزب المؤتمر الوطني الهندي) عام ١٩٣١، وبعد فشل هذا المؤتمر أيضا، أعلن الحزب العصيان الذي أستمر ثلاث سنوات (١٩٣١– ١٩٣٣)، وفي نهاية عام ١٩٣٣، أخذت الحكومة البريطانية تتفاوض مع حزب المؤتمر وطلبت منه ايقاف العصيان المدني، ووعدت بإجراء إصلاحات دستورية شاملة بحيث تفسح مجالاً أكبر لإسهام الهنود في السلطة، وفي عام ١٩٣٤ صادق البرلمان البريطاني على قانون حكومة الهند الذي وضع دستوراً جديداً للهند، منحت بموجبه المقاطعات قسطاً من السيادة المحلية. حينها أوقف حزب المؤتمر العصيان المدني، ورفعت الحكومة الحظر المفروض عليه، وفي عام ١٩٣٧ أعلنت عن نيتها إجراء انتخابات عامة في عموم الهند، وقرر الحزب الاشتراك في هذه الانتخابات، وأحرز الحزب نجاحاً ساحقاً في أغلب المقاطعات، وشكلت وزارات من أعضاء الحزب نفسه، وأفرج عن الزعماء السياسيين، وازاء هذا التطور سارت الامور في الهند بشكل اعتيادي وانتعشت الحالة الاقتصادية.

مدرس المادة

د. عمار خالد رمضان